كلية التربية بسوهاج
المجلة التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة القيم وأهمية تمثلها في حياة الأبناء

إعداد
دكتور
جمال نايف الأشقر
جامعة صحار: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلة التربوية – العدد الثالث والعشرون – يناير ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

التربية في تحليلها النهائي ذات وظيفة قيمية، فهي تتناول الأبناء بالتشكيل والتوجيه والتقويم في إطار قيم المجتمع الذي تعيش فيه، وما يتضمنه من تراث وواقع وتطلعات مستقبلية، ومن خلال قدرتها على الاختيار والانتقاء والحذف والإضافة، وهي الخصائص التي تواجه بها مسؤولياتها نحو تأصيل القيم في هؤلاء الأبناء. وللقيم دور هام في نجاح البرنامج التربوي من عدمه ، كون التربية من أهم المحددات التي يرتكز عليها نسق القيم في نشأته وتطوره، سواء المظهر الرسمي للتربية، والمتمثل بالمؤسسات التربوية المتعددة، أو المظهر غير الرسمي والمتمثل بالأسرة ووسائل الإعلام ودور العبادة وغيرها (١٣ : ٤١)

وقد واجهت التربية الرسمية (المقصودة) منذ البدء مشكلة أساسية تمثلت في الاتجاه الذي يمكن أن تسير به في نمو الأفراد الناشئين، فصار لزاماً على التربية أن تختار الأهداف أو الاتجاهات أو القيم التي يوجه من خلالها المربون من يقعون تحت رعايتهم، فمشكلة الأهداف واختيارها هي مشكلة القيم، لأن القيم تهتم بالتفضيلات وتمييز إمكانية من أخرى، أو هدفاً تربوياً من هدف آخر. وتتوقف الأهداف التربوية على أنواع القيم التي يعتبرها المجتمع هامة في توجيه النمو الإنساني. (١١: ٨٢٢)

ولكي تقوم المدرسة بتحقيق أهداف التربية، وجدت نفسها بحاجة إلى وسيلة تستخدمها للوصول إلى تلك الأهداف، فكانت (المناهج الدراسية) هي الوسيلة التي يراد منها تحقيق غايات المجتمع في تعليم الناشئين ما يراه مناسباً من قيم. وعليه تصبح الأهداف التربوية هي المعايير التي يتم في ضوئها اختيار الخبرات التربوية التي يتضمنها المنهج الدراسي، وتصبح كل جوانب المنهج وسائل لتحقيق الأهداف. (١٠ : ٣٦)

وتعد القيم من أغلى ما يقدمه النظام التربوي، وذلك أن نوعية الشخصية التي يمكن أن نحكم على أن النظام التعليمي قد عمل على إنتاجها، تتحدد بمنظومة القيم، وليس فقط بالجوانب المعرفية المختلفة.

فروح المنهج التربوي لا تشتمل على الدروس التي يحفظها التلاميذ ولا على المقررات الدراسية التي يجتازونها فحسب؛ بل إنَّ أغلى ما يعمل المنهج على تقديمه للناشئين هو مجموعة القيم والمثل الحياتية التي تتضمنها المواد الدراسية. وذلك لأن الناتج الحقيقي والمغزى من عملية التربية هو تحصيل هذه القيم الموجهة للحياة. والمواد التعليمية المختلفة لا تعدو أن تكون وسائل لتحقيق هذه القيم. والتمكين من تمثلها.

ويعزز (حسين) الفكرة السابقة فيقول: "إن القيم التي يتبناها الأشخاص تعتبر عوامل هامة محددة لسلوكهم. فعندما يؤدي المرء سلوكاً معيناً. أو يختار مساراً ما. مفضّلاً له على سلوك آخر أو مسار آخر. فإنه يفعل ذلك. وفي ذهنه أن السلوك أو المسار الأول. إنما يساعده على تحقيق بعض القيم. بشكل أفضل من السلوك الآخر". (٩: ٣٧)

ولا تقتصر أهمية القيم على المجتمع. بل إن أثرها يمتد إلى حياة الفرد الخاصة. حيث يعتمد تكامل الفرد وصحته النفسية على اتساق منظومة القيم لديه. أمّا تصارع القيم وتناقضها عنده؛ فإنه يؤدي إلى القلق. والسلوك الشاذ غير السوي.

والقيم تقف وراء كل نشاط إنساني. وكل تنظيم اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي، وذلك أن موضوعها هو علاقة الإنسان بالكون الذي يعيش فيه. ونظرته إلى نفسه. وإلى الآخرين. وإلى سلوكه. ومكانه في المجتمع بأنظمته وعلاقاته.

وتعنى الدراسة الحالية بالتعرف على كيفية تمثل الطلبة للقيم التي تتضمنها البرامج الدراسية المختلفة. وهو بحث تحليلي. يعتمد على الرجوع للأدبيات والدراسات والمقاييس التي تناولت موضوع اكتساب القيم وتمثلها.

ولأجل النهوض بدور المؤسسات التربوية سواء على مستوى المدرسة أو الجامعة. في مجال إكساب طلبتها للقيم والاتجاهات المرغوبة؛ ومن خلال الخبرات والأهداف التربوية. فقد بذلت في السنوات القليلة الماضية . الكثير من المحاولات الجادة. وعلى الصعيد العالمي والقومي العربي. تمثلت بالمؤتمرات والتقارير والندوات. وأهمها الآتي:

على الصعيد العالمي. أكد تقرير اللجنة الدولية للنهوض بالتربية – المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) – الآتي:

"إن المشكلة الأساسية التي تعاني منها التربية، تتمثل في وجود فرق كبير بين محتوى برامجها وبين الخبرة التي يحتاج إليها التلاميذ في حياتهم اليومية، وبين القيم التي تدعو إليها، وبين الأهداف المعاكسة التي حددها المجتمع، وبين برامجها السائدة وبين التقدم العلمي. (٥: ١١٩)

وأكد تقرير (أمة في خطر) حتمية إصلاح التعليم العام والتعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية. وجاء فيه من دواعي مواجهة التغيير الذي لحق بالقيم والاتجاهات ما يأتي:

"في مقدمة الأسباب وراء انخفاض مستوى التعليم، ذلك التغيير الذي لحق بالقيم والاتجاهات، مما ألقى عبئاً ثقيلاً على المدرس، إذ أصبحت المدارس ملزمة أن تعلم أعداداً أكبر من التلاميذ المشكلين أكثر من أي وقت مضى، ومن بينهم من يفتقد إلى الدافع إلى التعلم، ومن لديهم اتجاه نحو العنف، إلى جانب المشاكل الناجمة عن سهولة الحصول على المخدرات، وأثر التلفزيون وألعاب الفيديو في صرف التلاميذ عن الدراسة، وانتشار الاتجاهات غير الأخلاقية المستقاة من العالم السفلي، أي عصابات الشوارع والمجرمين". (١٥: ٦٠)

أما على الصعيد العربي، فإن المجتمع العربي المعاصر، يشكو من المساوئ والعيوب الناتجة عن ضعف الالتزام بالقيم الإنسانية، وبفضائل الأخلاق التي تؤكدها الديانات السماوية.

وقد جاء في تقرير (وضع استراتيجية لتطوير التربية العربية) الآتي:

"إن ما تشكو منه الحضارة المعاصرة من المساوئ والعيوب الناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الإنسانية، ومن التبذل والتحلل والانغماس في الشهوات، مما يصدر في أغلب الأحيان عن ضعف العقيدة الدينية، ونقص الوازع الإيماني. لذا فالشباب في هذا العالم، وفي الوطن العربي على وجه التخصيص، بحاجة ماسة إلى قيم واضحة، تجنبهم الحيرة الفكرية، وتكون لهم سنداً في تبين صورة المستقبل بين المذاهب والدعوات المختلفة التي يموج بها العالم في الوقت الحاضر. (١٦: ٢٢٧)

وجاء من ضمن وقائع المؤتمر العلمي المصاحب للدورة الرابعة والعشرين لمجلس اتحاد الجامعات العربية، والمنعقد في قطر ما يؤكد الآتي:

"إن الجانب القيمي أو الأخلاقي هو الجانب المريض في نظام التعليم. وقلما يعطيه التربويون ما يستحق من اهتمام وتقدير. وهذا فإن معظم طلابنا في المدارس والجامعات العربية – وقد عاشوا في فراغ قيمي – يتخرجون فاقدين للروابط الأدبية والروحية والاجتماعية التي تشدهم إلى مدارسهم وجامعاتهم وأساتذتهم. ولم يعودوا يكونون شرائح إنسانية هذبها التعليم ونقاها الأدب. كما أن بعض الطلبة يتخرجون بقيم مهزوزة كالسلبية واللامبالاة أو الهروب من انتمائية وطنية وأعمال إنتاجية ... إلى تشرد بالخارج، أو تقوقع في الداخل، أو الانتحار في عالم المخدرات. (١٣: ١٧٩)

مبررات الدراسة:

ويختم الباحث الدواعي التي حدت به إلى اختيار هذه الدراسة بما يأتي:

١ – قلة المباحث التي تتناول القيم في التربية. وذلك بما تشتمل عليه من الجوانب الوجدانية النزوعية. وهي على جانب من التعقيد والتشابك تعسر على التحليل والقياس والتجريب. سواء من النواحي الفلسفية أو النفسية ولاسيما بالمقارنة بالمباحث التي تتناول الجوانب المعرفية.

٢ – ما تشكو منه الحضارة المعاصرة من جوانب سلبية، منشؤها غلبة النزعات المادية، وضعف نظم القيم ذات الدلالات المجتمعية الأخلاقية الإنسانية، والحاجة إلى مباحث متعمقة تتناولها بالشمول والتعمق، ومتابعة متضمناتها في التربية والثقافة.

٣ – حاجة النهضة العربية الحديثة إلى مباحث في القيم، تستعيد جميع ما تتميز به الحضارة العربية الإسلامية منها، لاسيما وأن هذه النهضة ما تزال في مرحلة التنامي، وما تزال التحديات الخطيرة تواجهها. فهي بحاجة إلى الحذر من سيئات الحضارة المعاصرة وسلبياتها، والانتفاع من جوانبها الحسنة والإيجابية، واستكمالها استعادة منظومات القيم في الحضارة العربية الإسلامية، وبناء قيم جديدة تتلاءم وروح العصر.

٤ – الحاجة إلى تعزيز الجهود التي تبذل لتطوير التربية العربية، انطلاقاً من إيجاد فلسفة تربوية عربية إسلامية متميزة، وصياغة أهداف عامة لها، بعد أن تخضع لمزيد من التحليل

والتعمق، وتحقيق التنسيق والتكامل، والتماس السند الفكري لها من مصادرها الرئيسة، وبخاصة من أصول العقيدة الدينية، وأصول الثقافة العربية، ومن التراث الحضاري العربي الإسلامي، وأحوال مجتمع الأمة العربية وحاجاتها وإمكانياتها، وتطلعاتها نحو المستقبل، ومن العلم والفكر الحديث والحضارة الإنسانية بخير صورها.

٥ – الحاجة إلى عناية مؤسسات التعليم (المدرسي والجامعي) العربي، بجوانب القيم، أسوة بالعناية التي تحظى بها الجوانب الإدراكية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى استعراض أهم الجهود المبذولة في مجال وضع المقاييس والاختبارات للسمات الوجدانية والتروعية عند الفرد، وفي مجال قياس الاتجاهات وما يمكن أن تمثل من القيم، وذلك بغرض حث القائمين على شؤون التربية والتعليم الجامعي للالتفات إلى الجانب الوجداني في التربية ومناهجها الدراسية، وللاضطلاع بمسؤولياتهم للبحث عن الوسائل المناسبة لقياس الاتجاهات والقيم المتضمنة في تلك المناهج، ودراسة كيفية تمثل الطلبة لها، وتحويلها على شكل سلوك يتفق والمعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية السائدة.

تحديد المصطلحات:

أولاً: القيم:

القيم لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (قَوَمَ) ما يأتي: والقيمة واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. وفي الحديث ، قالوا: يا رسول الله، لو قوّمتَ لنا، فقال: الله هو المقوّم أي لو سعَّرت لنا، وهو من قيمة الشيء، أي لو حدَّدت لنا قيمتها (١: مادة قوم).

وجاء في المعجم الفلسفي لصليبا: قيمة الشيء في اللغة قدره، وقيمة المتاع ثمنه، يقال: قيمة المرء ما يحسنه (صليبا: مادة قوم).

وكثير من الأحكام التي تطلق في الشؤون التربوية، تنطوي على دلالات قيمية. فالتربية معنية بالقيم في الكثير من أمورها. ومن أبرز الأمثلة ما يختار فيها من الأهداف والمقاصد والأغراض. فاختيار هذا الهدف للسير بموجبه يعني تفضيله على غيره. وإضفاء قيمة عليه. وتفضيل هذا المقصد على غيره من مقاصد السياسة التربوية، يدل على ما له من قيمة لدى متخذي القرارات. وتفضيل الطالب لمادة دراسية على أخرى، تعبير عما ينسبه إليها من القيمة. وما تثير فيه من البواعث إلى دراستها. وتصحيح المعلم لإجابات الطلبة. ولا تخلو الدرجات التي يمنحها المعلم لإجابات الطلبة من تقديره لقيمة جهوده نفسها. والحق أن مثل هذه الأحكام التقويمية تكاد تكون ماثلة في الممارسة اليومية للعمليات التربوية. (22:92-95)

القيمة في الإصطلاح:

١ – عرّفها بركات بأنها "مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما. وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية. وتكون لها من القوة والتأثير في الجماعة، ما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية. وأي خروج عليها أو انحراف، يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا". (٤: ٤)

٢ – عرّفها قنيحة بأنها "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإنسانية وتجعلها متكاملة، قادرة على التفاعل مع أفراد المجتمع، والعمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة. (١٢: ٤١)

٣ – جاء في معجم لعلم النفس بالإنجليزية (انكلش وانكلش) في تعريف القيمة ما يأتي: (23:576)

١ – هي ما ينسب إلى شيء أو فعل من قدر (worth) أو امتياز (Excellence) أو جنس من تلك الأشياء والأفعال، أو درجة ذلك القدر أو الامتياز.

٢ – مفهوم مجرد، كثيراً ما يكون ضمنياً، يحدد لشخص ما أو لجماعة ما، الغايات والوسائل لغاية ما، تكون جديرة بالتقدير. فهي مرغوب فيها. وهذه المفاهيم المجردة ليست نتيجة لتقدير الشخص وتقويمه لها، بل نتاج اجتماعي أصبحت مما يفرض

عليه، ويستدخلها تدريجيا في نفسه، فيقبلها ويعتمدها لنفسه معايير لتقدير ما لذلك الشيء من قدر.

٣ – شيء أو موضوع يتألف منه هدف، فبدلاً من القول بأن للهدف قيمة فإن هذا التعريف يعني أن الهدف نفسه هو قيمة.

٤ – (في الرياضيات) مقدار شيء من الأشياء، أو العدد يعبر عن ذلك القدر، وهي الأعداد التي تمثل ما للمتغيرات من مقادير.

وفي ضوء ما أمكن استخلاصه من ملامح رئيسة للقيم، فإن هذه الدراسة قد تبنت التعريف الآتي للقيم، والذي يتضمن الملامح الأساسية المستخلصة من استعراض تعاريف القيم:

"القيم هي أهداف يسعى الأفراد للوصول إليها، تمثل مرجع حكم لهم على أنماط سلوكهم، وتحدد من خلال مواقفهم إزاء ميادين متنوعة من الحياة، تبلورها العلاقة بين الفرد وبين الخبرة في موقف معين. تلك العلاقة التي من شأنها أن تؤدي إلى استجابات، تظهر موقف الفرد تجاه بدائل، تمثل الاحتمالات التقويمية الممكنة لموقف معين أو موضوع أو فكرة أو مبدأ أو شخص، ضمن معايير ثقافية، وهي تعبر عن مجموعة الالتزامات الأخلاقية التي يلتزم بها الفرد تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه وعقيدته".

ثانياً: التمثل:

التمثل لغة:

يقال: "تَمَثل الحديث وبالحديث: أقاده وبيَّنه، والشيء تصوَّر مثالهُ. وتمثل الأدب: كأنه مَزَحَةُ بذاته. وأمثل الشيء: احتذاه وعمل على مثاله" (١٨: ٧٤٦– ٧٤٧)

ويقال: "امتثلتُ مثالَ فلان: احتذيت حذوه، وسلكتُ طريقته" (٢: ١٣٦)

التمثل فلسفياً: "إلحاق جزء بجزء آخر في حكمه، لمعنى مشترك بينهما، ومنه القياس الفقهي". (١٧: ١١٦)

التمثل اصطلاحاً:

١ – عرفه الكش وانكلش (English and English) بأنه "دمج شيء داخل العقل أو الجسم. وتبني شخص ما لأفكار شخص آخر. أو مجتمع أو ممارساته أو معاييره أو قيمه. واعتبار أنها أفكار أو ممارسات أو معايير أو قيم ذلك الشخص. (23:272)

٢ – عرفه جود (Good) بأنه: "تقبل لدى الفرد للمواقف والاتجاهات أو القوانين أو المبادئ أو الروادع التي تشكل جزءاً منه. وذلك في تكوين أحكام للقيم. أو في تحديد سلوكه هو. (25:296)

٣ – عرفه بلوم (Bloom) بأنه: "عملية يتم من خلالها إتباع أو تبنٍ ناقص أو مؤقت للمظاهر المكشوفة فقط من السلوك المرغوب فيه. وإتباع أو تبنٍ أوفى فيما بعد. وهو ينظر إلى التمثل بأنه قد يحدث بدرجات متفاوتة. ويتوقف على المدى الذي يصل إليه تبني قيم الآخرين". (٨: ٦٦)

٤ – أما المعجم العربي الأساسي. فقد عرف التمثل بأنه: "استيعاب المعلومات استيعاباً ينظمها في الحياة العقلية للطالب". (١٧: ١١١٧)

ثالثاً: تمثل القيم:

تمثل القيم عملية نفسية. هي في جوهرها نوع من التعلم. لها أسسها الأحيائية (Biological). بل إن مفهومها استخدم أصلاً في علم الحياة. ويورد معجم علم النفس بالإنجليزية (English and English) من معانيها مبتدءاً بهذا الأصل. كما استخدمت الكلمة في علم وظائف الأعضاء ،وذلك على الوجه الآتي: (23:44)

التمثل : (Assimilation)

١ – تحويل الطعام إلى مادة تنضم إلى الجسم (علم وظائف الأعضاء).

٢ – عملية تعلم. ولاسيما التعلم الوافي. الذي يجعل الخبرات المتعلمة جزءاً من النفس. كالشأن في الطعام للجسم.

٣ – عملية تتألف من مواجهة واقع مؤلم، فتحيله إلى حالة محتملة كما يحصل للشخص الذي يصبح مقعداً، فيواجه هذا المصاب بأن يتمثله ويتقبل ما يفرضه عليه من حدود.

٤ – عملية إدراك معرفية تصبح معها محتويات الخبرة الجديدة شبيهة بالخبرات المألوفة السابقة حتى تبدو متطابقة وإياها.

٥ – عملية تحويل ما يدرك من الأشياء والأوضاع، ليصبح متوافقاً مع حاجات الذات.

وأقرب هذه التعريفات التي تتناغم مع هذه الدراسة، هما التعريفات الثاني والرابع. ولعل أوفى من فصّل طبيعة هذه العملية من الناحية الادراكية (Cognitive) وتعمّق في تفسيرها بين علماء النفس المعاصرين هو الأستاذ (جان بياجيه) صاحب النظريات الوافية في تطور الإدراك (Cognitive) والذكاء. وقد انطلق فيها من تطور العمليات العقلية منذ الطفولة الأولى إلى تمام النمو بين الكبار وربط ذلك بالتطور الجسمي، ورأى أن التطور من الجانبين ينشأ من التفاعل مع أحوال البيئة وما فيها من مؤثرات. ويتألف ذلك التطور من وظيفتين رئيسيتين هما: التنظيم (Organization) والتكيف (Adaptation) ويتفرع التكيف إلى عمليتين هما: التمثل(Assimilation)، والملائمة (Accommodation)، والوظيفتان الرئيستان والفرعيتان تستند إلى بنيات (Structures) في الجهاز العصبي.

فأما التنظيم في الإدراك، فشأنه شأن الهضم في الأبدان، يتناول ما يجري منه من خبرات تتضمن إدراك الواقع، وما في تلك الخبرات من معان ودلالات، ومن تداخل وعلاقات، ليخضعها لحظ من الترتيب، وهي خبرات تزداد وفرة وغنى وتعقيداً على مر السنوات، ولكنها جميعها تأتي مجملة في حالات كلية تتجاوز التجزئة والشتات ولا تظل ساكنة راكدة؛ بل هي على الدوام ناشطة متفاعلة، تخدم فيها الوسائل الغايات، وتسند القيم (Values) المثل العليا (Ideals) في عبارة بياجيه.

وأما التكيف فهو وظيفة رئيسة ثانية، يتحقق على خير أحواله كلما تم التوازن بين جانبيه: وظيفة التمثل ووظيفة الملاءمة. وفي عبارات بياجيه: "لا ينفصل التنظيم عن التكيف، فهما عمليتان تتمم إحداهما الأخرى، تؤلف الأولى الجانب الباطني، وتؤلف الثانية الجانب الخارجي،

في الثانية الوفاق بين الإدراك والأشياء. وفي الأولى الوفاق بين الإدراك بعضه مع بعض". (27:41-46)

ويحصل التمثل في إدراك الأشياء في البيئة. وما يقتضيه من تعديل الأشياء المدركة بما يتفق مع الخبرات المتراكمة. التي تتولى هي أيضاً تعديل هذه الخبرات لتتحقق الملاءمة بين الجديد والقديم من الخبرات. فكل عمل في نشاط الذكاء. سواء كان بسيطاً أو معقداً. أو كان عينياً مجرداً. فإنه يتجلى في تفسير الأشياء الواقعية في البيئة. وإضفاء نوع من الدلالة عليها. لتندمج فيما هو جاهز من الخبرات. بما تؤديه عملية التنظيم عليها.

مثال ذلك ما يحصل في عملية التغذية الجسمية في استدخال الطعام من البيئة. ويكون الهضم تمثلاً لما يأتي من الخارج. وتعديلاً لما هو قائم في الجسم من تكوين. فإن الخبرات الجديدة في الإدراك إذ تستدخل من الخارج. يتولى التمثل تعديلها. وتتولى الملاءمة تعديل الخبرات السابقة. ثم يتولى التنظيم استكمال التوافق. وجميع هذه العمليات من الثوابت في النشاط الإدراكي لا تنفصل عملية عن أخرى. مهما غلبت واحدة في بعض الحالات. وبتحقق الملاءمة والتنظيم تتسع الخبرات. وتصبح النفس مهيأة لتمثل مزيد من الخبرات الجديدة. وبذلك يحصل التقدم في الإدراك. (27:47-50)

وتتعدد المصادر التي يتمثل منها الأطفال والناشئون القيم. وتترقى مستويات ما يستدخلونها إلى نفوسهم منها. لاسيما أن هذه القيم تتجلى فيما يلحظه الأطفال مبكراً في أنماط السلوك الواقعية. تتوالى ممارستها يوماً بعد يوم. في نطاق الأسرة. وفي نطاق المدرسة ومجتمع الرفاق. وفي الشارع والمسجد وغيرها من مؤسسات. كما تتجلى بما تحفل به وسائل الإعلام المسموعة. والمرئية والمكتوبة. ومن المسارح ودون السينما. وشبكات الإنترنت. وتتدفق منها المعلومات. بما يؤدي بالتالي إلى تمثل الناشئة للقيم السائدة في المجتمع.

ويسمع الطفل مبكراً أوصافاً لبعض أنماط السلوك. منها ما يدل على الطيبة واللطف والتهذيب. ومنها ما يدل على الخبث والفظاظة والقسوة. وكثيراً ما تكون في الحالين مصحوبة بمشاعر الاستحسان للأولى والاستهجان للثانية. فيتلقاها ويتمثلها عن طريق الإيحاء. ويعي مالها من دلالات. ويختزلها في ذهنه. وتتراكم فيها تدريجياً طبقة بعد طبقة. ثم يكون منها ما يتجاوز

الإيحاء إلى حد التجربة المباشرة والمعاناة، فتتسع خبراته للأنماط الحسنة وللأنماط السيئة، وربما كانت هذه أشد وقعاً في النفس حين يعاني من بعض حالاتها على أيدي الكبار أو أيدي الرفاق، فيزداد تمثله لها، مصحوبة بمزيج من الانفعالات. وتتوالى على ذهنه معاني الصواب والخطأ، ومعاني الطيب والخبيث، ومعاني الخير والشر، في الأقوال والأفعال والأشياء، وهي دلالات القيم كما جاء في تعريفاتها آنفاً. وهكذا فإن تمثله لها يأتي مبكراً مصاحباً لنمو الإدراك ومستوياته، ومتدرجاً في وضوح الدلالات لا يخلو من اللبس والغموض في بعض الحالات. (26:115)

وإذا كنا قد عرضنا عملية تمثل القيم من جانبها الإدراكي، وهو الجانب الذي تميزت به نظريات (بياجيه) بالدرجة الأولى، فقد آن أن نعرض جانبها الوجداني والنزوعي (Affictive and Coactive) باعتبارهما مصدراً للدوافع، وما ينشأ عنها من البواعث والإدراك، لتتجلى في السلوك، وفي اتخاذ المواقف والإجراءات.

ولعل المفاهيم التي تفسر هذا الجانب، تتدرج من مستوى تكوين العادات النزوعية، إلى مستوى تكوين الاتجاهات، وصولاً إلى تكوين العواطف، ولاسيما ما يتصل منها بمفهوم الذات.

ومعروف ما للعادات الحركية من إغناء للسلوك في مستواه البسيط في الأعمال اليومية الرتيبة التي تستدعي كثيراً من الانتباه والشعور، ولكن مثل هذه العادات ليست مصدراً للبواعث، بل حسبها أن تخدم بواعث مستقلة عنها، وبخلاف ذلك بعض العادات النزوعية التي تمثل ميلاً محدوداً في مجاله، ومحدداً فيما يصدر من طاقة تتضمن باعثا من بواعث السلوك. (26:116-117)

وعلى سبيل المثال، فإن عادة حركية مثل الحلاقة الصباحية التي يمارسها الرجال، تيسر عملية الحلاقة، ولكنها لا تدفع إليها، وبخلاف ذلك: فإن الاتجاه أو العاطفة نحو النظافة هي التي تدفع للحلاقة، كما تدفع إلى غيرها من الأعمال لنظافة البدن والسكن واللباس والأدوات وغيرها على تعدد المجالات، وبين تلك العادة الحركية – الحلاقة – وبين العاطفة نحو النظافة منزله للعادات النزوعية، إذ فيها ينشأ ميل محدود نحو فاعلية محددة لا تتعداها. ومن هذا القبيل عادة المشي في ساعة من النهار على سبيل الرياضة والنشاط، فباعثها كامن فيها، ينشط من ذاته في موعدها المألوف.

رابعاً : الاتجاه (Attitude)

يشيع استعمال الاتجاه في علم النفس الاجتماعي مرتبطاً بالبواعث على نطاق متوسط من الأعمال. ومن تعريفاته كما جاء في معجم علم النفس بالإنجليزية (انكلش وانكلش) ما يأتي (23:51).

"الاتجاه استعداد مكتسب بالتعلم، يؤدي إلى سلوك معني نحو صنف من الأشياء. سلوكاً يتسم بجانب من الاتساق والثبات. وهو حالة عقلية . لها أساس في الجهاز العصبي. نحو صنف من الأشياء. لا من حيث هي في الواقع بالضرورة. ولكن من حيث ما يتصورها صاحب الاتجاه. بما تتسم به هذه الحالة من الاتساق والثبات. ويصاحبها حظ من حالات وجدانية نحو ذلك الصنف.

ويعرف كوردون ألبورت الاتجاه بأنه: "حالة استعداد عقلي ذي أساس في الجهاز العصبي للتهيؤ من خلال الخبرات. وتترك أثراً توجيهياً في استجابة الفرد إلى الأشياء والمواقف التي تتعلق به. والاتجاهات تتسم إما بالتفضيل لتلك الأشياء والمواقف وإما برفضها. فهو حالة تهيؤ للاستجابة لبعض الأشياء أو لتجنبها" (29:889).

وتعرف موسوعة علم النفس الاتجاه تعريفاً يتضمن توجهاً إدراكياً واستعداداً للاستجابة لشيء من الأشياء. أو لصنف منها. وتتسم الاتجاهات بخصائص نجملها على الوجه الآتي:

أ – على حظ من الثبات.

ب – عرضة للتفاوت بين الأشخاص. فهي تتعلق بقضايا يختلف حولها الناس.

جـ – ذات مضمون قيمي. لما فيها من المفاضلة والتقويم بين الأشياء.

د – مفهوم الاتجاه في علم النفس ذو مفهوم افتراضي. بمعنى أن الاتجاهات لا تلاحظ مباشرة، وإنما تستنتج بما تتجلى به في أنواع السلوك سواء كانت فكرية . مثل إبداء الآراء، أو بدنية مثل ارتفاع ضغط الدم. فليست هذه هي الاتجاهات وإن كانت أدلة عليها، وأدوات لقياسها (24:95).

ومن الاتجاهات ما ينشأ لدى الأشخاص من تحيز نحو بعض الجماعات، وتحيز ضد بعضها الآخر. سواء كان التحيز لأسباب سياسية أو دينية أو مهنية أو اجتماعية أو غيرها.

وكثيراً ما تستخدم الاتجاهات في تفسير ما لدى الأشخاص من القيم نحو الأقوال (الأفكار) أو الأعمال أو الأشياء. ويغلب عليها الجانب الإدراكي، وإن لم تخل من الجانب الوجداني والنزوعي.

و لعل مفهوم العواطف، تفسير للقيم . كلما كانت ذات طبيعة فعّالة شاملة للفكر والوجدان والنزوع، وكلما اتسعت مجالات تأثيرها وقويت أنماط السلوك المترتبة عليها.

ويرى (البسّام) أن من تعريفات العاطفة ما يأتي "تكوين نفسي مكتسب، يتألف من منظومة من الانفعالات تتركز في موضوع من الموضوعات. سواء كان الموضوع عينياً مثل تحفة فنية، أو إنساناً فرداً من الأسرة أو صديقاً، أو مفكراً من الأقدمين أو المحدثين، أو كان الموضوع جماعة من الناس (فئة من الزملاء، أو فئة من المفكرين، أو حزباً من الأحزاب، أو شعباً من الشعوب، أو أمة من الأمم، أو كان الموضوع أفكاراً مثل مذهب من مذاهب الفلسفة، أو فرع من العلوم، أو قيمة من القيم.

كل هذه الموضوعات يمكن أن تنصب عليها جملة من الانفعالات، وتؤدي إلى أنماط من السلوك، دفاعاً عن موضوع العاطفة أو تقديراً ورعاية في عواطف المحبة، أو مخاصمة ومجانبة في عواطف الكراهية. فموضوع العاطفة كفيل بتفسير حالات التعلق بقيمة من القيم، أو بنظام متسق من القيم، تعلقاً يتسم بالقوة والمتانة والوثوق، ويحمل صاحبه على القيام بنماذج عالية من السلوك.

والعاطفة تشتمل على الجوانب الثلاثة:

أ – معرفة بموضوعها.

ب – حالات وجدانية متعددة نحوها.

جـ – نزوع إلى آراء وأعمال مناسبة لها.

٢ – القيمة: الاعتزاز بالانتماء للأمة العربية والإسلامية:

الموقف:

في إحدى الجامعات الغربية. ألقى أحد الأساتذة محاضرة. كانت مليئة بالدس والتشويه والإفتراءات على العرب والمسلمين. وكان أحد الأساتذة العرب مستمعا لها. ماذا تنصحه أن يفعل؟

أ – يصمت لئلا تعرف هويته فيشعر باخرج.

ب – يتصدى لذلك الأستاذ مفنداً أقاويله باحجة والبرهان.

جـ – يحرض الطلبة العرب على عدم حضور دروس ذلك الأستاذ.

٣ – القيمة: المحافظة على المال العام:

الموقف:

شاهد أحمد زميلا له، وهو يعبث بالمقاعد التي يجلس عليها الطلبة. فيماذا تنصحه أن يفعل؟

أ – يشتكي عليه للمسؤولين. لأن المقاعد ملك عام.

ب – لا يأبه للأمر لأن المقاعد ليست ملكه.

جـ – يحذره من عواقب العبث بالممتلكات العامة.

٤ – القيمة: التسامح:

الموقف:

توفي أحد الأطفال نتيجة دهسه من قبل سيارة. وبشكل غير متعمد فماذا تنصح أسرته أن تفعل؟

أ – التسامح مع السائق إكراما لله. وتسليما لقضائه.

ب – الإصرار على حبس السائق وملاحقته بعد الإفراج عنه.

جـ – الطلب من السائق مغادرة المدينة لئلا يذكرهم بولدهم.

٥ – القيمة: الاقتصاد في النفقة وترشيد الاستهلاك:

الموقف:

إذا تعرض بلد ما، لأزمة اقتصادية، تستدعي تضافر الجهود من أجل البناء وترشيد الاستهلاك. فإنك حينئذ ستدعو زملاءك وأقاربك إلى:

أ – الاقتصاد في النفقات ما أمكن والتقليل من الإسراف.

ب – تجاهل الأمر ما دام هناك المال الوفير.

جـ – الاستهلاك حسب المقدرة المالية لكل بيت.

٦ – القيمة: التفكير النقدي الموضوعي:

الموقف:

حصل شجار بين أحد الطلبة، وصديق حميم لك. وأثناء التحقيق معهما، طلب إليك إبداء رأيك بصفتك شاهدا على ذلك. فماذا يكون تصرفك؟

أ – تتحدث بما يتناسب مع تبرئة الصديق.

ب – تحلل أسباب الشجار بشكل موضوعي. ودون إدانة لأحد.

جـ – تتحدث بموضوعية وتذكر الشخص المتسبب بالشجار.

٧ – القيمة: حب العمل اليدوي المنتج:

الموقف:

تخرج أحد الطلبة من إحدى الكليات الإنسانية، ولم يجد عملا يتناسب مع تخصصه. فقرر مساعدة والده الذي يعمل في البناء فما رأيك بذلك؟

أ – تبارك له بهذا التوجه نحو العمل اليدوي المنتج.

ب – تلومه على ذلك، لأن هذا العمل لا يليق بحامل شهادة جامعية.

جـ – تنصحه بأن يواصل العمل، ريثما يجد وظيفة تناسب تخصصه.

٨ – القيمة: كتمان أسرار الوطن وحمايتها:

الموقف:

في إحدى الجامعات الغربية، طلب الأستاذ من طالب عربي كتابة (مشروع تخرج) يقتضي إعطاء معلومات عن شخصيات هامة في بلده، وانتماءاتهم الفكرية، فبماذا تنصحه؟

أ – رفض إعطاء تلك المعلومات، حتى لو رسب في المشروع.

ب – يعطي المعلومات المطلوبة، لأن تخرجه مرهون بذلك.

جـ – يعطي معلومات معروفة ولا ضرر من البوح بها.

٩ – القيمة: تحقيق تكافؤ الفرص في العمل:

الموقف:

طلب شخص من صديقه، مدير الدائرة في إحدى المؤسسات الهندسية، تعيين ولده المهندس فيها، فبماذا تقترح على المدير أن يفعل؟

أ – يعلن عن توفر وظيفة في المؤسسة، ويقابل المتقدمين ويختار ابن صديقه.

ب – يقابل جميع المتقدمين ويختار الأصلح للوظيفة.

جـ – يضع مواصفات للوظيفة لا تنطبق إلا على ابن صديقه.

١٠ – القيمة: التواضع:

الموقف:

في إحدى مسابقات ركوب الخيل، لاحظ أحد الوجهاء أنه يتعين عليه إن يتسابق مع أشخاص من عامة الشعب. فماذا ترى عليه أن يفعل؟

أ – يحتج على منظمي السباق كونهم لا يقدرون مكانه الوجهاء.

ب – يشارك في السباق لأن الناس سواسية.

جـ– يتظاهر بالمرض، ويعتذر عن المشاركة.

١١ – القيمة: الصدق:

الموقف:

لعب أحد الطلبة بالكرة، فأصابت زجاج نافذة في الجامعة، فانكسر، بماذا تنصحه أن يفعل؟

أ – يذهب إلى العميد ويعترف بما فعل.

ب – يخفي نفسه بين زملائه لئلا يكتشف أمره.

جـ – ينتظر حتى يتم التحقيق في الموضوع ليقرر ما يفعل.

توصيات

١ – تضامن جميع المؤسسات التربوية في ميدان القيم التي توجه إليها أو تنهى عنها.

٢ – توفير البيئة المناسبة من أوضاع وظروف ومؤسسات ومربين. لمساعدة الناشئين على إكتساب القيم الإيجابية. وتمثلها في حياتهم. والابتعاد عن القيم السلبية.

٣ – الاهتمام بالدراسات الميدانية في موضوع القيم. خصوصا ما يتعلق بمدى تمثل طلبة المدارس والجامعات للقيم المتضمنة في المناهج المدرسية. ومن ثم الاستفادة من النتائج وتوظيفها بشكل علمي مدروس.

٤ – زيادة الاهتمام بدراسة الأهداف التربوية. التي يمكن أن تنبثق عن القيم بمجالاتها المتعددة. مع دراسة تقويمية للأهداف التربوية في واقع التربية اليوم لضبط مسارها.

٥ – الاهتمام بتدريس موضوع القيم. من حيث مفهومها. وتصنيفاتها وطرق تعليمها وتعلمها. ووسائل الكشف عنها.

٦ – إجراء بحوث في ميادين القيم. والكشف عن مجالاتها في الأسرة والمجتمع وفي التعليم العام والتعليم العالي. وبما يكفل الإسهام في ترسيخ القيم السليمة في الناشئين. مرحلة بعد مرحلة. وتمحيص واقعها في المؤسسات التربوية. وصولا إلى إجراءات فعالة لتسديد العمل التربوي. بما يغنيها ويجعلها أكثر فاعلية.

٨ – إجراء بحوث ودراسات. لمعرفة آراء الهيئات التدريسية في الجامعات. حول دور الجامعة في تنمية القيم الوطنية والعلمية والعصية(الاقتصادية). والقيم المرتبطة بدور الأستاذ الجامعي والبيئة التعليمية الجامعية.

٩ – تطوير الأنشطة اللاصفية. وإغناء البيئة المدرسية والجامعية بالحوار الفكري. والمواقف المشبعة بالقيم الأخلاقية والوطنية والقومية والإنسانية. عن طريق الندوات والمحاضرات والتشار النوادي والجمعيات الطلابية. والمساجد. والمشاركة في المشروعات المجتمعية والوطنية.

مصادر الدراسة

أ – المصادر العربية:

١ – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب (د.ت) مجلد (٧+٤)، بيروت: دار صادر.

٢ – البستاني، بطرس، (١٩٤٧)، قطر المحيط، بيروت،مكتبة لبنان.

٣ – اتحاد الجامعات العربية، (١٩٩١)، المؤتمر العلمي المصاحب للدورة الرابعة والعشرين لمجلس الاتحاد، قطر.

٤ – أحمد، لطفي بركات،(١٩٨٣)، القيم والتربية، الرياض، دار المريخ.

٥ – ايدجار، فور، وآخرون،(١٩٧٦)، تعلم لتكون، معرب(حنفي ابن عيسى) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

٦ – إسماعيل، عماد الدين، وآخرون،(١٩٨٢)، كيف نربي أطفالنا، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية،ط٧، القاهرة: دار النهضة العربية.

٧ – البسام، عبد العزيز، (١٩٩٣) محاضرات غير منشورة ألقيت على طلبة الدكتوراه، دورة ١٥، بعنوان"تقويم الحاجات واتخاذ القرار ،جامعة بغداد –كلية التربية".

٨ – بلوم، بنجامين، وآخرون،(١٩٨٥)، نظام تصنيف الأهداف التربوية، معرب(محمد محمود الخوالدة) جدة: دار الشروق.

٩ – حسين،محي الدين، (١٩٨١)، القيم الخاصة لدى المدعين، القاهرة: دار النهضة.

١٠ – عاقل، فاخر، (١٩٦٨)، معالم التربية، بيروت:دار العلم للملايين.

١١ – فينكس، فيليب،(١٩٨٢)، فلسفة التربية، معرب (محمد لبيب النجيحي) القاهرة:دار النهضة العربية.

١٢ – قسيحة، جابر،(١٩٨٤)، المدخل إلى القيم الإسلامية، القاهرة: دار الكتب الإسلامية.

١٣ – كاظم، علي مهدي، وآخرون(٢٠٠٠). النسق القيمي لدى طلبة جامعة قاريونس. مجلة علم النفس. الهيئة المصرية العامة للكتاب. العدد٥٥. السنة ١٤.

١٤ – مبارك، فتحي يوسف. (١٩٩٢) القيم الاجتماعية اللازمة لتلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي. دور مناهج المواد الاجتماعية في تنميتها للطالب. المجلة العربية للتربية. مجلد ١٢. عدد ١ تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٥ – مكتب التربية العربي لدول الخليج.(١٩٨٤) أمة معرضة للخطر. حول حتمية إصلاح التعليم العالي فيالولايات المتحدة الأمريكية. معرب(يوسف عبد المعطي) الرياض.

١٦ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (١٩٧٩). استراتيجية تطوير التربية العربية. تونس.

١٧ – مختار، احمد. (١٩٨٩) المعجم العربي الأساسي. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٨ – معلوف، لويس. (١٩٦٠) المنجد في اللغة والأدب والعلوم. ط ١٧ بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

١٩ – موسى، مصطفى إسماعيل. (٢٠٠٢) تدريس التربية الإسلامية للمبتدئين. دار الكتاب الجامعي. أبوظبي.

٢٠ – الناشف، عبد المالك. (١٩٨١) القيم وقابليتها للتعلم والتعليم. مجلة الطالب المعلم. عدد ١. اليونسكو (الانروا).

ب – المصادر الإنجليزية:

21 - Brown, FG (1979). Principles Educational and Psychological Testing, Illinois, The Dryben Inc.

22 - Brubacher, J.S. (1960). Modern Philosophies of Education. New York, Mc-Graw Hill Book Company Inc.

23 - English, H. B. and English, A. Ch. (1958), A comprehensive Dictionary of Psychological and Psycho-analytical Terms, New York, David McKay Co. Inc.

24 - Eysenck, H.J. and Arnold, W. and Meili, . R. (1972), Encyclopedia of Psychology. Vol. 1. Search press, London.

25 - Gool, C.V. (1931), Dictionary of Education,2nd ed. New York, Mc-Grow Hill.

26 - Farnett, A. C. (1931), The Miind of Action, A Study of making and Values, Nispet Co. Itd. Cambridge University.

27 - Flavell, J.H. (1964), The Development Psychology Princeton, New York.

28 - Simon, S. B. and Olds, S. W.(1977), Helping Youth Child Learn Right from Wrong, New York, Mc-Grow Hill.

29 - Murphy, F. etal, (1937), Experimental Social Psychology, Quoted by Ch. XII Harp and Brothers, New York, London.

30 - Warren, H.C. (1962), Dictionary of Psychology, Houghton Mifflin Company, Cambridge, U.S.A.